

الصفات السيئة للقلب في القرآن الكريم دراسة دلالية

اسراء فاضل لفته
مديرية تربية ذي قار
esraaljubore@gmail.com

المخلص

القرآن الكريم يحوي العديد من الآيات التي تهدف الى بيان كثير من الدلالات التي تهتم الانسان، فإن شرف الانسان وفضيلته التي بها فاق جملة من اصناف الخلق هو باستعداده لمعرفة الله سبحانه، وانما استعد لهذة المعرفة بما وهبه الله تعالى من نعمة القلب المدرك من دون باقي الجوارح. يتناول البحث (صفات القلب السيئة في القرآن الكريم) حيث اتبع البحث المنهج الدلالي من خلال تحليل الآيات القرآنية وبالرجوع الى كتب اللغة والمعاجم وكتب التفسير. وقد تضمن البحث تمهيد بعنوان الدلالة المعنوية للقلب وفق الرؤية القرآنية، فالقلب هو عضو عضلي يقع في منتصف الصدر وهو المسؤول عن ضخ الدم الى جميع انحاء الجسم، وقد سمي قلباً لعدة اسباب، أولاً: بسبب شكله المقلوب ، وثانياً: لكثرة تقلبه وتحواله لما فيه من تغير في المقاصد والمشاعر. اذ يريد الله به اللطيفة الربانية التي بها الادراك والتفكر والاحساس الوجداني. كما ان تبديل حال القلب وانتقاله من حالة الصفاء الى حالة الانغلاق فيصبح القلب مصدراً للشروع ، وقد ينغمس في الكفر والضلال، فمثلاً في قوله تعالى (اتم قلبه) اي انه قلب قاصر فاعل للذنب على المبالغة في الدم ؛ لان الكتاب من عمل القلوب فاسنده اليه؛ لانه رئيس الاعضاء فاذا اتم قلبه فقد اتم كله وسبب ذلك التعلق ان الشهادة اصرار قلبي على المعصية.

الكلمات المفتاحية: القلب السيء، القلوب القاسية، القلوب العمى.

Bad Characteristics of the Heart in the Holy Quran: A Semantic Study

Israa Fadel Lafta
University of Dhi Qar - College of Education for Humanities
esraaljubore@gmail.com

Abstract:

The Holy Quran contains many verses that aim to explain many meanings that are important to humankind, including human dignity His virtue, by which he surpassed a number of other kinds of creation, is his readiness to know God Almighty. He was only prepared for this knowledge by what God Almighty bestowed upon him of the blessing of a perceiving heart, unlike the rest of the limbs. The research deals with (the bad qualities of the heart in the Holy Qur'an), where the research followed the semantic approach through the analysis of Qur'anic verses and by referring to language books, dictionaries and books of interpretation. The research included an introduction entitled "The Moral Significance of the Heart According to the Qur'anic Vision." The heart is a muscular organ located in the middle of the chest and is responsible for pumping blood to all parts of the body, It is called the heart for several reasons: firstly, because of its inverted shape, and secondly, because of its constant change and transformation due to the shifts in intentions and feelings. God intends it to be the subtle, divine faculty through which perception, contemplation, and emotional experience occur. Likewise, the heart's condition changes and it moves from a state of purity to a state of closure, so the heart becomes a source of evils, and it may become immersed in disbelief and misguidance. For example, in the Almighty's saying (his heart sinned), meaning that it is a deficient heart that commits sin, to the exaggeration of the condemnation; Because the book is a work of the heart, it is attributed to it, because it is the chief of the organs. So if his heart sins, then all of it sins. The reason for this attachment is that the testimony is a heart's insistence on sin.

Keywords: bad heart, hard hearts, blind hearts

المقدمة:

القلب سلطان الجسد وأقوال اللسان وجميع الأفعال صادرة بإرادة القلب ، فمن الواضح أن صحة القلب ومرضه ينعكس بشكل مباشر على أقواله وأفعاله ومن أجل سلامة أفعالنا وأقوالنا يجب الحذر من بعض الصفات التي قد تصيبه ، منها:

القلوب الأثمة، القلوب المرتابة، القلوب المكنونة، القلوب الأبية، القلوب العمي، القلوب المختومة، القلوب الرانئة، القلوب المرعوبة، القلوب المصروفة، القلوب المطبوعة، القلوب المغلة، القلوب الغلف، القلوب الغلاظ، القلوب الغياظ، القلوب القاسية، القلوب اللاهية، القلوب المتكبرة، القلوب المريضة، القلوب المناقفة، القلوب الزائغة.

التمهيد:

الدلالة المعنوية للقلب:

القلب هو عضو عضلي في الجسم ، مكانه الصدر في الإنسان وغيره، وسمي قلباً على الحقيقة لأنه وضع في موضعه من الجوف مقلوباً، أو لكثرة تحوله وتبدله (ابن منظور ، 1999م، 223/5؛ الفيروزآبادي ، 2009م ، 678/3؛ ابراهيم مصطفى ، احمد الزيات، (د.ت)، 902/2)، ويشار به إلى مكان الإحساس والإدراك والوعي(ابن منظور ، 1999م، 243/5؛ الفيروزآبادي ، 2009م ، 678/3؛ العسكري (ت395هـ)، (د.ت) 161/1؛ الشاطي، (د.ت)، 175/1).

ويعبر عنه بالروح بقولهم: (والروح الحيوانية هي للحيوان الناطق وغير الناطق وهي من القلب وتتبعث منه الشرايين)(الخوارزمي، د.ت، 160/1).

نجد أن هنالك علاقة وثيقة بين الروح والعاطفة والإحساس يكون القلب هو المركز والمحرك لها لأن المراد بالقلب اللطيفة الربانية الشيء مظهر حسياتها الوجدان ومعكس أفكارها الدماغ ، لا الجسم الصنوبري فإذا في التعبير بالقلب رمز إلى أن اللطيفة الربانية لمعنويات الإنسان كالجسم الصنوبري لجسده)(النورسي، 2002م، 84/1).

أو يذكر القلب ويراد العقل كما في قوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [ال عمران: 167]، والمراد بالقلب العقل)(الانصاري، 1983م، 533/1).

كما يرتبط التفكير والتدبر بالقلب إذ (إن التدبير تصرف القلب بالنظر في العواقب والتفكير تصرف القلب بالنظر في الدلائل)(العسكري، د.ت، 75/1).

ومن التفكير أيضاً (الذكر بالقلب وهو الفكر في عظمة الله وجلاله وقدرته وفيما خلقه وجميل صنعه)(الرازي ، ١٤٠٥هـ، 247/3).

ونلاحظ من ذلك أن للقلب إمكانية وقدرة للتأثير على تصرفات الإنسان وعلاقته بالله (عزوجل) لأن (أولي الأبصار ، قولان: أحدهما أنه من بصر العين والآخر إنه من بصر القلب. قال أبو جعفر: وهذا لولي بالصواب، لأن الاعتبار إنما يكون بالقلب وهو الاتعاظ والاستدلال)(النحوي ، 1421هـ، 257/4).

وللقلب أثر على توجه الإنسان لأن (النظر بالقلب نظر العلم من جهة الفكر والتأمل لأحوال الأشياء، ألا ترى أن الناظر على هذا الوجه لا بد أن يكون مفكراً)(العسكري، 2007م، 480/1).

وللقلب معنى أشمل بوصفه الإنسان بمعنى الروح والنفس من خلال ما ينعكس من التعقل والتفكير وما يكون فيه من صفات عاطفية وإحساسات وجدانية(الطباطبائي، د.ت، 338/3).

فعندما تطلق لفظ (السيئة) على أمر معين تكون له دلالة التعمد والإصرار على الفعل لأن (السيئة الفعل القبيح القيود إليه في نفسه ولكونها قبيحة قولت بالحسنة في عامة ما جاء في القرآن ، نحو : ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الأنعام : 160] (الاصفهانى، 2003م، 243/1).

وهذا نجده عند الباقلاني بقوله: (لأن أهل اللغة لا يستجيزون أن يقول القائل منها ما أصابتي سيئة إذا اكتسبت معصية وإنما يقولون أصبت سيئة أي فعلتها، كذلك إذا فعل الحسنة لا يقول: أصابتي حسنة ، وإنما يقول أصبت حسنة)(الملاكي، 2001م، 661/2).

ولأن السيئة من فعل الإنسان وقصده وردت بمعنى الكسب في قوله تعالى: (أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمَنْ نَفْسِكَ أَي: ما أصابكم من مصيبة فمن انفسكم أي مما اكتسبتم في الخلاف على رسول الله)(الملاكي، 2001م، 662/2؛ الانصاري، 1983م، 119/1).

وتارة ترد بمعنى الشر: في قوله تعالى : ﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ﴾ [الأعراف : 95] أي: (مكان الشر الرخاء والعدل والعافية والولد)(المخزومي، 1989م، 339/1).

وتارة ترد بمعنى العذاب (المخزومي، 1989م، 520/1) في قوله تعالى: ﴿لَمْ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ﴾ [النمل : 46].

نلاحظ ان للقلب تأثير على تصرفات الإنسان وأفعاله فإذا سكن (المرض في القلب هو الفتور عن الحق)(الثعالبي، 1997م، 263/1؛ السجستاني، 1995م، 408/1)، وإذا حجب الإنسان عن إدراك الحق صار الختم: منع القلب من الإيمان)(الباوردي، 2002م، 170/1).

فالقلب هو محل العبادات الدنية بإقباله على الله بالتقوى والعمل الصالح أو يكون محل للآفات المهلكة ، وعلى الإنسان شحنه بالنية الخالصة ، وشرحه بالتوحيد.

المبحث الأول: الوصف بأية واحدة:

1. القلوب الآثمة:

وردت في آية واحدة وهي قوله تعالى: ﴿أَتَمَّ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [البقرة : 283]، يذكر ابن فارس: (إن الهمزة والتاء والميم تدل على اصل وهو البطء والتأخير يقال ناقة آثمة أي متأخرة ولأتم مشت وذلك لأن ذا الإثم بطيء عن الخير متأخر عنه)(الرازي، 1979م، 60/1 ، مادة أتم))، ولدى ابن منظور الإثم (هو الذنب وتآثم الرجل تاب من الإثم واستغفر منه) وهو على السلب كأنه شكى ذاته، الأثم بالتوبة والاستغفار وجمع الإثم آثام والآثم عقوبة الإثم الأخيرة وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَجَرَةَ الزُّقُومِ طَعَامُ الْأَثِيمِ﴾ [الدخان : 44].

قال الفراء الأثيم الفاجر، وتآثيم يجوز أن يكون مصدر أثم، ويجوز أن يكون اسماً(ابن منظور ، 1999م، 23/1 ، مادة اثم)) ويذهب الفيروزآبادي إلى القول: (الأثم بالكسر الذنب والخمر والقمار، وأن يعمل ما لا يحل أثم إثمًا ومأثومًا فهو أثم وأثيم وآثم وأثوم وآثمة الله تعالى: عدّه عليه إثمًا عليه فهو مأثومٌ، وآثمة: آثمة تآثيمًا: قال له ائمن وتآثم: تاب منه والاثيم: الكذاب والمؤاثيم: الذي يكذب في السير وتوق آثمات مبطنات)(الفيروزآبادي ، 2009م ، 186/3 ، مادة اثم)).

ويرى البغوي أن الأثيم هو فاجر القلب وأراد به مسخ القلب (البغوي ، ٢٠٠٢م ، 353/1). ونلاحظ أن الطبرسي يعبر عن إضافة الإثم إلى القلب بأبلغ في الذم كما أن إضافة الإيمان إلى القلب ابلغ في المدح (الطبرسي، 2006م ، 199/2)، ويذهب ابن عجيبة إلى أن السبب في ذلك التعلق أن الكنان من عمل القلوب. فأسنده إلى القلب مبالغة ، لأنه رئيس الأعضاء فإذا أثم قلبه أثم كله (أبو العباس ، (د.ت) ، 2144/1). والإثم لدى ابن عاشور هو الذنب والفجور وسبب التعلق لديه أن الشهادة إصرار قلبي على المعصية (ابن عاشور، ١٩٨٤م ، 13/3).

نجد أن الوصف على صيغة المبالغة (أثم) أسند إلى القلب قلباً فاجراً، فهو أبلغ دلالة من أن تكون الآية بصيغة فعلية.

2. القلوب الآبية:

وردت هذه الصفة في آية واحدة وهي قوله تعالى: ﴿يُرْضَوْنَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [التوبة : 8]، ذكر ابن فارس (أن تعرض على الرجل الشيء فيأبى قبوله) (الرازي، 1979م، 45/1؛ الرازي ، 1987م، 3/1) وأجمع المفسرون على أن قلوبهم ممتنعة عن قبول الإيمان، يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم (الشيرازي، 1421هـ، 538/5؛ العمادي، د.ت، 144/3؛ الألوسي ١٩٩٩م، 166/7؛ الرازي، ١٩٨١م، ص466)، نجد أن الله نسب صفة الرفض للقلب لأنه المدرك لهذه المشاعر والتحكم فيها وهو الفاعل لها، فالقلب هنا بمعنى العقل.

3. القلوب العمى:

وردت هذه الصفة مرافقة القلب في آية واحدة في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبَ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج : 46]. فقد أوضحه ابن منظور بقوله: (ذهاب البصر كله) (ابن منظور ، 1999م ، 95/15؛ الرازي، 1979م، 133/4 (مادة عمى)). وذكر الماوردي إنها لا تعمي الأبصار عن الهدى ولكن تعمي القلوب عن الاهتداء (الماوردي، د.ت، 120/34). وذكر الطوسي أن العمى عمى القلب الذي يجحد معه معرفة الله ووجدانيته (الطوسي، 1957م، 320/7).

ويرى الشيرازي أن العمى هم الذين تعمي قلوبهم، فلا يدركون الحقيقة ابدأ (الشيرازي ، 1421هـ ، 368/10). نجد أن العمى في الآية الكريمة هو عمى البصيرة الذي يراد منه عدم فقه القلب فالقلب هنا كناية عن العقل، وفي الآية إشارة إلى سوء حال المنكرين المحبوبين عن إدراك حقائق الملك و دقائق الملكوت.

فقد نفى الله صفة العمى عن البصر التي هي متعلقة به وأسندها إلى القلب فلا يقال: (فلان اعمى من فلان لأنه من عمى القلب، ويقال في عمر العين فلان أبيض عمى من فلان) (النحاس، 1409هـ، 279/2).

وقد أكد الفراء ذلك بقوله: (ولم يرد به عمى العين ، إنما أراد به - والله أعلم - عمى القلب، فيقال: فلان أعمى من فلان في القلب) (النحاس، 1409هـ، 127/2).

وفي عمى القلب انتفاء النفع من البصيرة بقوله (إنها لا تنتفع ببصائرهما كما ي تنتفع العمى بأبصارهم) (العسكري، 2007م، 338/1).

ونلاحظ أن التعبير القرآني يؤكد على الفرق بين عمى القلب وعمى البصر لأن عمى القلب أخطر، لما له من تداعيات تقع على الإدراك والوعي الديني فهي دلالة قطعية تحجبهم عن فهم الذات المقدسة.

4. القلوب الرائنة:

وردت هذه الصفة مسندة إلى القلب في آية واحدة وهي قوله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين : 14]، اوضح الخليل (إن الرين الطبع والدنس، وران على قلبه ذنبه يرين رينا أي غلب وقد ذكر تأويلاً للآية بقوله - أي غلب، وهو الرين على الرين حتى يسود القلب) (الفراهيدي، 2003م، 174/2). وذكر ابن منظور: (إن العبد يذنب الذنب

فتنكت في قلبه نكتة سوداء فإن تاب منها صقل قلبه(ابن منظور، 1999م، 192/13). وبين الطوسي إنه غلب على قلوبهم(الطوسي، 1957م، 289/10). عبر عنه الطبرسي يصدأ القلب فإذا ذكرته بـ (آء الله) انجلى عنه(الطباطبائي، دت، 130/20 ؛ الألويسي 1999م، 269/25؛ البغوي ، 2002م، 365/8). ومثله قول الطباطبائي في كونها ركب قلوبهم وغلب عليها كسب الذنوب(الطبرسي، 2006م، 264/10). ونستخلص أن الرين هو الطبع والختم أو الغلاف أو الصدا الذي أصاب قلوبهم، بسبب ما كانوا يكسبون من اعتيادهم الكفر حتى حالت بين معرفتهم الخير من الشر.

5. القلوب الغلاظ:

وصف القرآن الكريم القلب بالغلظة في آية واحدة وفي قوله تعالى: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: 159].

ذكر ابن منظور الغلظة: (بأنها ضد الرقة في الخلق والطبع والفعل والمنطق)(ابن منظور ، 1999م، 449/7 مادة غظ)).

كما أوضحها الزبيدي بقوله: (رجل غليظ أي فظ ذو قساوة وغليظ القلب أي سيء الخلق وأمر غليظ شديد صعب وماء غليظ أي مرّ)(الزبيدي، 1965م، 5065/1) أوضح المفسرون في التعبير القرآني أن الغليظ القلب القاسي، وإنما جمع بين الصفتين مع اتفاقهما في المعنى، لإزالة التوهم، وإن الفظاظ في الكلام دون ما ينطوي عليه القلب من الحال وهو وجه من وجوه التأكيد إذ يكون لإزالة الغلظ في التأويل ولتمكين المعنى في النفس بالتركيب(الطوسي ، 1957م، 30/3 ؛ الطبرسي 2006م، 382/2 ؛ الشيرازي ، 1421هـ ، 747/2 ؛ ابن عاشور، 1984م، 261/3 ؛ العمادي ، دت) ، (482/1)، ونستخلص من ذلك أن غليظ القلب: هو القاسي الفؤاد الذي لا نلمس منه رحمة ولا يحس منه لين وإن المعنى الأول يستعمل في الخشونة الكلامية والمعنى الثاني في الخشونة السلوكية وهذا ما ينفيه الله عن نبيه محمد (ص).

6. القلوب الغياظ:

وصف القرآن الكريم القلب بالغياظ في آية واحدة وهي قوله تعالى: ﴿وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ﴾ [التوبة: 15] فقد ذكر ابن منظور (الغياظ الغضب، وقيل غضب كامن للعاجز، وقيل أشد من الغضب)(ابن منظور ، 1999م، 450/7 مادة غيظ)؛ الجوهري، 2008م، 30/2) أوضح المفسرون في التعبير عن الآية القرآنية أن معناها يبطل غيظهم ويعدمه والغياظ نقض الطبع بانزعاج النفس. وفي ذلك شفاء لقلوب المؤمنين التي امتلأت غيظاً لكثرة ما نالهم من الأذى(الطوسي، 1957م، 18/5) إذأ فالغياظ هو غضب مشوب ببارادة الانتقام فقد أزال الله كرب وجد المؤمنين بعد فتح مكة، فقد استعيض بلفظ واحد هو أكثر قوة وأبلغ دلالة وهذا من عظيم لغة القرآن وقوة معناه.

7. القلوب اللاهية:

وصف القرآن الكريم بأن قلوبهم لاهية عن ذكر الله في آية واحدة وهي قوله تعالى: ﴿لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسْرُوا﴾ [الأنبياء: 3]. بين ابن منظور (إن الله ما لهوت به ولعبت به وشغلك من هوى وطرب وتأويل لاهية قلوبهم أي مشاغلة عما يدعون إليه)(ابن منظور ، 1999م، 258/15). (مادة لها)؛ الفراهيدي، 2003م، 87/4) وأوضح الطوسي معناه غافلة، أو معناه طالبة للهو، هازلة واللهو هو الهزل الممتع(الطوسي، 1957م، 223/7). وعبر عنه الطبرسي إنهم لم يستمعوه استماع نظر وتدبر وقبول وتفكر وإنما استمعوه استماع لعب(الطبرسي 2006م، 61/7). وتبعه على ذلك ابن عجيبة(أبو العباس ، دت) ، (60/4) والماوردي(الماوردي، دت، 69/3) وأبي السعود(العمادي ، دت، 400/4). فقد جاء اللعب هنا استعارة بالغة الامتناع من حيث كونها ترمز إلى عدم جدية الإنسان وقرن اللعب اللهو إنما صنع ذلك للعلاقة بالسببية بين اللعب واللهو القلب وتجد في ذلك أن الله ذكرهم بهذه الصفة لتناهي غفلتهم وفرط إعراضهم عن النظر في الأمور والتفكر في العواقب.

8. القلوب المتقلبة:

وصف القرآن الكريم قلوب العباد بأنها تنتقلب من خشية الله في آية واحدة وهي قوله تعالى: ﴿يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ [النور: 37]. ففي اللغة (القلب تحويل الشيء عن وجهه من قلبه وقد ورد تأويل تنتقلب في لسان العرب (أي ترجف وتخف من الجزع والخوف)(ابن منظور ، 1999م ، 685/1. مادة قلب؛ الزبيدي، 1965م، 875/1).

يذكر الطوسي أن القلوب تنتقل من الشك الذي كانت عليه إلى اليقين والإيمان، وإن الأبصار تنتقلب عما كانت عليه(الطوسي ، 1957م ، 434/1) ويذهب البغوي إلى أنها تنتقلب القلوب بين الخوف والرجاء تخشى الهلاك وتطمع في النجاة(البغوي، 2002م، 456/2)، وقد وافقه على هذا الرأي كلا من أبي السعود(العمادي ، د.ت، 54/5)، والألوسي(الألوسي 1999م، 454/13) في اضطرابها وتغيرها، وكذلك الشيرازي في الخوف والخشية(الشيرازي ، 1421هـ ، 111/11) ونستخلص من ذلك أن القلوب تضطرب على صيغة الاستمرار (تنتقلب) من الهول والفرع وتشخص وتنتقلب أحوالها فتفقه وتبصر الأبصار بعد أن كانت لا تفقه ولا تبصر والقلب في هذا الموضع دال على العقل.

9. القلوب المتكبرة:

وردت هذه الصفة مسندة إلى القلب في آية واحدة وهي قوله تعالى : ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ [غافر: 35]. أوضح الزبيدي الكبر بقوله: (الرفعة والشرف، وأما التكبر فعلى وجهين أولهما: أن تكون الأفعال الحسنة كبيرة في الحقيقة وزائدة كقوله (العزيم الجبار المتكبر، والثاني أن يكون متكفراً لذلك متشبعاً وذلك في عامة الناس ((يَطْبَعُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ)) فالوجه الأول محمود والثاني مذموم(الزبيدي، 1965م، 1/3439؛ ابن منظور ، 1999م، 125/5. مادة (كبر)) من خلال قراءة الآية نلاحظ أن القراءة بالتثنية جعل قوله متكبر نعتاً للقلب ومعناه صاحبه متكبر ويغير التثنية على معنى الإضافة لأن المتكبر هو الرجل وأضاف القلب إليه هذا ما ذكره الطوسي(1957م، 73/9) والطبرسي(2006م، 389/8) وابن عاشور(1984م، 439/12).

وعبر الرازي عن الآية أن الطبع إنما حصل من الله لأنه كان في نفسه متكبراً جباراً والتكبر أي عن قبول التوحيد والجبار في غير الحق(محمد الرازي، 1981م، 333/13)، وتابعه الأصفهاني(1996م، 86/1؛ الطباطبائي ، د.ت، 150/17) ويتبين من ذلك أن المراد هنا معنيين أحدهما: يطبع الله على كل القلب فلا يترك من القلب شيئاً، والثاني يطبع على قلوب كل المتكبرين الجبارين.

10. القلوب المصروفة:

في آية واحدة وهي ﴿ثُمَّ انصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهِ قُلُوبَهُمْ﴾ [التوبة: 127] وذكرها ابن منظور بقوله: (الصرف رد الشيء عن وجهه، وصرف الله قلوبهم) أي أضلهم الله مجازة على فعلهم، والصرف الحيلة والصرفان الليل والنهار(ابن منظور ، 1999م ، 19/189. مادة صرف؛ الراغب الأصفهاني ، 1996م، 279/1). ومن خلال التعبير القرآني يرى الطوسي أن الله صرفهم عن التوراة والقرآن وما أوحى من كتبه بمعنى منعهم من إفساده وتغييره وإبطاله(الطبرسي، 2006م، 543/4). ويؤيده في ذلك الشيرازي لأنهم لا يريدون سماع كلمات الله سبحانه ولا يرتاحون لذلك لأن قلوبهم قد حامت بها الظلمات لعنادهم ومعاصيهم فصرفهم إليه عن الحق(الشيرازي ، 1421هـ ، 279/6).

ومن المفسرين من يرى إنه دعاء عليهم أن يخليهم الله ولا يعطيهم من زيادة التوفيق والألطف ما يعطي المؤمنين فيكون خذلاناً لهم، وقد خرج من اللفظ مخرج الدعاء عليهم وإلى هذا الرأي يذهب الطبرسي(الطبرسي، 2006م، 99/1) والمزمخشري(المزمخشري، 2006م، 490/2) والطباطبائي في إنه دعاء على المنافقين وله نظائر في القرآن ثم يذكر بأن الدعاء منه تعالى إبعاد لهم بالشر(الطباطبائي ، د.ت، 232/9) ونلاحظ أن الصرف يحتمل وجهين أحدهما انه تعالى صرف قلوبهم بما أورثهم من الغم والتأخير ، والثاني: إنه صرفهم عن الألطف التي يختص بها من أمن واهتدى.

11. القلوب المغلقة:

وردت هذه الصفة مرافقة للفظة القلب في آية واحدة في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا﴾ [الحشر: 10]. فقد وردت في قول ابن منظور: (إنه غل صدره إذا كان ذا غش) وضغن وحقد، إنه لا يحسد بعض أهل الجنة بعضاً في علو المرتبة لأن الحسد غل وهو كدر والجنة مبرأة من ذلك) (ابن منظور ، 1999م ، 491/11؛ الجوهرى، 2008م، 24/2؛ الراغب الأصفهاني ، 1996م ، 157/2 (مادة غل)). والتعبير القرآني يشير إلى أنهم سألوا الله أن لا يجعل في قلوبهم غلاً للذين آمنوا واتبعوا الهدى، والغل هو الحسد والعداوة والغش والخيانة والحقد والضغن (الطبرسي 2006م ، 393/9؛ الطباطبائي ، د.ت، 113/19؛ أبو العباس ، د.ت، 290/6؛ الماوردي، (د.ت)، 255/4؛ الألويسي 1999م ، 429/2؛ البغوي ، 2002م ، 79/8).

12. القلوب المنافقة:

وردت هذه الصفة مسندة إلى القلب في آية واحدة وهي قوله تعالى: ﴿فَاعْتَبِهِمْ نَفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ﴾ [التوبة: 77]. وقد ذكرها الخليل بقوله: ((أن يؤمن بلسانه والقلب كافر)) (الفراهيدي، 2003م، 356/5) اتفق المفسرون على أن البخل أورثهم نفاقاً متمكناً من قلوبهم، وأن الله جعل عاقبة ذلك نفاقاً وسوء اعتقاد في قلوبهم (الطبرسي 2006م، 183/1؛ الشيرازي ، 1421هـ ، 333/8؛ البيضاوي، د.ت، 6/2). ومن الواضح أن الصدق، يعني تطابق اللسان مع القلب. فالكذب يعني عدم تطابق اللسان مع القلب، وما النفاق إلا الاختلاف بين الظاهر والباطن.

المبحث الثاني: الوصف بتعدد الآيات:

1. القلوب الزانغة:

وردت هذه الصفة مسندة إلى القلب في أربع آيات منها قوله تعالى: ﴿مِن بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ﴾ [التوبة : 117]، ذكر ابن منظور الزيغ بقوله: (الميل، يزيغ زيبغاً وزيبغاناً) (ابن منظور، 1999م ، 432/8 ؛ الرازي، 1987م ، 136/1؛ الجوهرى، 2008م ، 297/1) فقد أجمع المفسرون على أن الزيغ الميل عن الحق من أجل المشقة والشدة التي نالته في معركة تبوك (الطبرسي، 2006م ، 308/5 ؛ الطباطبائي، د.ت، 226/9 ؛ الاندلسي، 1993م ، 238/6؛ البيضاوي، د.ت، 489/2 ؛ الألويسي 1999م، 391/7) كما وردت هذه الصفة في آيات أخرى منها قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: 7] ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف: 5] وقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ [آل عمران: 8]، ونجد من ذلك أن الزيغ هو الميل والابتعاد عن الحق أو الإيمان لولا فضل الله على المؤمنين وتثبيت قلوبهم على الإيمان، فقد تعددت واختلفت تراكيب الصفة من أجل النهي عن صفة زيغ القلوب فتارة تكون اسمية وتارة فعلية وتارة تكون مضارع أو ماضي وهذا كله مبالغة في النهي.

2. القلوب الغُلف:

وصف القرآن الكريم القلب بأنه أغلف في آيتين منها قوله تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾ [النساء : 155] فقد ذكر ابن منظور (الغُلف جمع غلاف أي قلوبنا أوعية للعلم كما أن الغلاف وعاء لما يوعي فيه وإذا سكنت اللام كان جمع أغلف وهو الذي لا يعي شيئاً وقوله قلوباً غلفاً أي مغطاة) (ابن منظور ، 1999م ، 271/9؛ الرازي، 1987م ، 228/1 ؛ الفراهيدي، 2003م، 419/4) يوضح الماوردي فيه قولين أحدهما: إنها محجوبة عن فهم الإعجاز ودلائل التصديق والآخر: إنها أوعية للعلم وهي لا تفهم احتجاجك ولا تعرف إعجازك من غير أن يشير إلى أصل الكلمة اللغوي (الماوردي، د.ت، 71/1).

أما البغوي فيرى أنها إذا كانت ساكنة اللام فهي جمع الأغلف وهو الذي عليه غشاء ومعناها عليهم غشاوة فلا تعي قلوبهم ولا تفقه ما تقول. أما إذا كانت مضمومة اللام فهي جمع غلاف أي قلوبنا أوعية لكل علم فلا تحتاج إلى علمك أو حديثك لا تعقله (البغوي ، 2002م ، 120/1) ويذهب أبو السعود إلى أن المعنى هي مغطاة بأغشية جبلية لا يكاد يصل إليها ما جاء به محمد (ص) أو هو تخفيف غُلف جمع غلاف أي هي أوعية للعلوم فنحن مستغنون بما عندنا (العمادي ، د.ت، 177/2) وإلى هذا الرأي يذهب الألويسي (الألويسي 1999م ، 299/4). وقد وردت في آية أخرى وهي قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ

اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ» [البقرة: 88] نستنتج من ذلك أن كلمة غلف خاصة ببني إسرائيل بل لا تليق هذه الكلمة إلا بهم ونلاحظ أن التعبير القرآني في الآيتين جاء بصيغة الاستمرار في الآية الأولى وفي الثانية بصيغة الماضي وفي الآية الأولى أن الله طبع على قلوبهم ولا أمل لهذه القلوب أن تفتح أمام كلام الله. أما في الآية الثانية أن الله لعنهم وهذا منتهى النذل في الدنيا والآخرة. فهم قليلوا الإيمان كما وكيفاً من خلال قول الله فقليلاً ما يؤمنون. فقد حجب عنهم الإيمان من خلال الغطاء الساتر عن أن يفقهوا شيئاً.

3. القلوب القاسية:

لا يمكن أن يخلق الله الإنسان قاسي القلب، وإنما القسوة أمر مكتسب يبتلى به الإنسان نتيجة أفعاله وأقواله السيئة، فقد وردت هذه الصفة في خمس آيات منها قوله تعالى ﴿فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الزمر: 22]. فالقسوة من قسي يدل عند ابن فارس على (شدة وصلابة، من ذلك الحجر القاسي، والقسوة غلظ القلب، والقاسية: الليلة الباردة، والمقاساة معالجة الأمر الشديدي على مفاعلة) (الرازي، 1979م، 87/5، (مادة قسي)). أما ابن منظور فيذكر: (أن القساء مصدر قسا يقسو، والقسوة الصلابة في كل شيء، وتأويل قست في اللغة غلظت ويبست، فتأويل القسوة في القلب ذهاب اللين والرحمة والخشوع منه والمقاساة مكابدة الأمر الشديدي(ابن منظور ، 1999م، 180/15، (مادة قسا)). ومثله قول الزبيدي(الزبيدي، 1965م، 8549/1، (مادة قسا)). تلاحظ قول الطبرسي بأنها تصلبت حتى لا ينجع فيها وعظ ولا ترغيب ولا ترهيب(الطبرسي 2006م، 357/6). ويعبر عنها أبو السعود بأنها كالحجارة أو أشد قسوة(العمادي ، دت، 277/6). ويرى الألوسي أنهم اشمازوا من ذكر الله وزادت قلوبهم قسوة(الألوسي 1999م، 327/20؛ ابن عاشور، 1984م، 321/20). وتجد من ذلك أن القسوة مستعارة لقلّة تأثر عقولهم من تقبل الإيمان.

ونلاحظ أن التعبير القرآني في ثلاث آيات جاء بصيغة اسمية هي (القاسية) وفي آيتين بصيغة فعلية دالة على المضى (قست) فقد ثبتت فيها القسوة حتى صارت كالحجارة أي القسوة في قلوبهم لا تقبل علاج بسبب كثرة المعاصي والغرور فتنكرار الوصف دلالة على التأكيد واستقرار الصفة في النفوس فإن مرض القسوة إذا أصاب الإنسان يحتاج إلى معجزة علاجية بوصف الله تعالى لهم (كالحجارة) ، وما نقش على الحجارة لا يسهل إزالته.

كما ذكرت هذه الصفة في آيات أخرى منها ﴿وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحج: 53] وقوله تعالى ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ﴾ [البقرة: 74] وقوله تعالى ﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحديد: 16] وقوله تعالى ﴿فِيمَا نَقَضِهِمْ مِّثْقَالَهُمْ لَعْنَاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾ [المائدة: 13].

4. القلوب المختومة:

ذكر ابن فارس: (إن الأصل في المادة هو بلوغ آخر الشيء فأما الختم وهو الطبع على الشيء)(الرازي، 1979م، 245/2) ولدى ابن منظور (ختمه طبعه والختم على القلب أن لا يفهم شيئاً)(ابن منظور ، 1999م، 163/2). ويرى الزبيدي بأن الختم: (إخفاء خبر الشيء بجمع أطرافه عليه على وجه يتحفظ به)(الزبيدي، 1965م، 7686/1؛ الفيروزآبادي ، 2009م، 303/2) وصف القرآن الكريم القلوب بهذه الصفة في أربع آيات فيها قوله تعالى: ﴿حَتَّمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةً وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [البقرة: 7] وقد وضح الطوسي أن الختم على قلوبهم يراد به أنه شهد عليها بأنها لا تقبل الحق لتعرفهم الملائكة ولا يستغفروا لهم مع استغفارهم للمؤمنين)(الطوسي، 1957م، 62/1).

ويرى الرازي أن السمع أفضل من البصر. لأن الله قدمه على البصر، ودليل التفضيل إنه لم يبعث رسولاً أمي ، وقد كان فيهم من هو مبتلى بالعمى ، ولأن السمع تصل نتائج عقول بعضهم إلى بعض ، فالسمع سبب لاستكمال العقل بالمعارف(محمد الرازي، 1981م، 324/1) أما الألوسي فهو يرى بأن الختم والتغشية مسببان عن الكفر والختم الوسم يطابع أو نحوه ويكون تارة بالاستيثاق من الشيء والمنع منه وتارة في تحصيل أثر اعتباراً بالنقش الحاصل ، وتارة بلوغ آخر الشيء(الألوسي، 1999م، 119/1) وقد ذهب الطباطبائي إلى أن الله تعالى سلبهم عقولهم وأعينهم وأذنانهم وذلك باعترافهم بأن عدم سمعهم وعقلهم كان ذنباً منهم ويدل على إنهم انفسهم توسلوا الى سلب هذه النعم بالذنوب(الطباطبائي ، دت، 99/10) ويرى الشيرازي أن هذا الختم وهذا الحجاب هما نتيجة إصرار هؤلاء ولجاجتهم وتعنتهم أمام الحق(الشيرازي ، 1421هـ ، 86/1)

ونستنتج من ذلك إن الختم والطبع واحد وإنه نتيجة لإعراضهم عن الحق وتمكن ذلك في قلوبهم حتى صار كالطبيعة لهم. فقد وردت بالصيغة العلية في جميع موارد منها : قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ﴾ [الأنعام: ٤٦] وقوله ﴿وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ، وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ عَشَاوَةً﴾ [الجنات: ٢٣] وقوله تعالى: ﴿فَإِنْ يَشَأْ اللَّهُ يُخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ﴾ [الشورى: ٢٤].

5. القلوب المرتابة:

ذكر ابن فارس إن الأصل فيه (يدل على شك أو خوف ، فالريب الشك والريب ما رابك من أمر، وريب الدهر : صروفه)(الرازي، 1979م، ٤٦٣/2) وفي لسان العرب يضيف الى الشك وصروف الدهر (الظنة والتهمة)(ابن منظور ، 1999م ، ٤٤١/1).

وكذلك ما يلح في قول الزبيدي بأن (ريب المنون: حوادث الدهر)(الزبيدي، 1965م، 548/1) فقد وردت هذه القصة في آيتين هما قوله تعالى ﴿وَأَرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾ [التوبة: 45] إذ يرى الشيخ الطوسي أن قلوبهم اضطربت وشكت، والارتباب هي اضطراب في الاعتقاد بالتقديم مرة والتأخر أخرى(الطوسي، 1957م، 51/1) ، ويذهب الرازي إلى أن الشاك المرتاب يبقى متردداً بين النفي والإثبات(محمد الرازي، ١٩٨١م، 153/8). أما صاحب البحر المديد يذر أن قلوبهم شكت في الإيمان والبعث(أبو العباس، د.ت، 406/2). أما الآية الأخرى هي قوله تعالى: ﴿لَا يُزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [التوبة: 110]. واستخلص من ذلك أن شكهم في الدين المضمحل في قلوبهم هو عين النفاق، فهو مشوب بحركة مستمرة تمنعهم من الاستقرار.

6. القلوب المرعوبة:

وردت هذه الصفة في ثلاث آيات، منها قوله تعالى: ﴿وَقَدَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾ [الأحزاب: 26]. فقد ذكر الزبيدي الرعب بقوله (أشد الخوف، يرعبه رعباً: أي خوفه فهو مرعوب ورعيب، وقيل هو الخوف الذي يملأ الصدر والقلب)(الزبيدي، 1965م، 27/1. ابن منظور ، 1999م، 430/1. (مادة رعب)). فقد أجمع المفسرون على أن الله ألقى في قلوبهم الخوف من النبي. فالآية الكريمة تشير إلى أشد أنواع القتل إذ تركوا حصونهم مستسلمين ملقين أسلحتهم وقد استعار الله لفظة القذف للرمي البعيد أو للشتم والعيب (ففيه إشارة للتنزيل المعنوي لمعنى الرعب)(الطبرسي 2006م، 128/8، الطباطبائي ، د.ت، 110/19، البيضاوي، د.ت، 10/5، الراغب الأصفهاني، ١٩٩٦م، 405/2 ، 228/2، العمادي ، د.ت، 331/5). فقد امتلأت قلوبهم خوفاً حتى انقطعت عن الفهم والإدراك.

ورد الرعب بلفظ واحد لكن تغير الفعل فتارة يقول (سنلقي) وتارة يقول (سألقي) بأسلوب التهديد والوعيد ، وتارة يقول وَقَدَفَ بصيغة الماضي إشارة إلى أن الأمر قديم واقع فيهم لا محالة، كما أن الفاعل لإيقاع (الرعب) هو الله سبحانه، إذ أنزل الرعب عليهم سببه كفرهم. كما وردت هذه الصفة في قوله تعالى: ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾ [آل عمران: 151]. وقوله: ﴿سَأَلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾ [الأنفال: 12].

7. القلوب المريضة:

يصف القرآن الكريم مجموعة من الآثام بأنها مرض يصيب القلب خاصة، من خلال تعدد موارد النهي والتحذير منها. فقد وردت لفظة المرض مصاحبة القلب في اثنتا عشرة آية منها قوله تعالى: ﴿أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمْ ارْتَابُوا﴾ [النور: 50]. يذكر ابن فارس - الميم والراء والضاد - أصل صحيح وهو يدل: (على ما يخرج به الإنسان عن حد الصحة في أي شيء كان منه لعله، وأمراضه أعلى، مرض في الحاجة قصر ولم يصح عزمه فيها)(الرازي، 1979م، 211/5 (مادة مرض)). نلاحظ أن ابن منظور يعرف المرض بتعاريف مختلفة، وينسبه إلى الإنسان والنبات وحتى الظواهر الطبيعية بقوله: (أمرض الرجل: إذا وقع في حالة العاهة، مراض: داء يقع في الثمرة فتهلك، وتمريض الأمور: توهينها، وريح مريضة: ضعيفة الهبوب، ويقال للشمس إذا لم تكن منجلية صافية حسنة مريضة. وليلة مريضة: إذا تغيمت السماء، ورأي مريض: فيه انحراف عن الصواب).

وأصل المرض: النقصان وهو بدن مريض ناقص القوة وقلب مريض ناقص الدين، والمرض: إظلام الطبيعة واضطرابها، والمرض الظلمة. والمرض فتور عن الحق وفي الأبدان فتور الأعضاء (ابن منظور، 1999م، 231/7 مادة مرض)، أما المصطوفي فيضع تعريفاً واحداً جامعاً بقوله: (هو اختلال في اعتدال المزاج أو النفس في قبال سلامتها وصحتها) (المصطوفي، ١٤٢٥هـ، 81/11 - 82 مادة مرض)، يشير الماوردي إلى أن المرض هو الشرك والنفاق (الماوردي، دت، 181/3).

ثم نلاحظ إنها عند الطوسي تمثل الشك (الطوسي، 1957م، 444/7)، وهذا ما يذهب إليه البيهقي (البيهقي، ٢٠٠٢م، 56/5) ويذكر البيضاوي أنها تعني كفر وميل إلى الظلم (البيضاوي، دت، 356/4)، ويذهب مكارم الشيرازي إلى أنه الانحراف قلبياً عن التوحيد أو الشك والتردد (الشيرازي، 1421هـ، 138/11)، ويستعمل المرض في البدن الإنساني، والروح، والباطن وقد يستعمل في الجمادات والألفاظ أيضاً حقيقة أو مجازاً والاعتقاد.

كما ورد القلب في أغلب الآيات بلفظ (قلوب) دلالة على أنها أمراض جماعية تصيب عقيدة الناس وأهوائهم في حين أفردته في آية واحدة (فيطمع الذي في قلبه مرض) لأن الوصف هنا مس الجانب الأخلاقي للإنسان.

ومن أمثلة النهي عن مرض القلب قوله تعالى: ﴿لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ [الحج: 53] وقوله: ﴿وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [الأحزاب: 12] وقوله: ﴿لَنْ لَمْ يَنْتَه الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ [الأحزاب: 60] و﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَرَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾ [البقرة: 10] و﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ﴾ [المائدة: 52]، و﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ﴾ [الأنفال: 49] و﴿إِنْ اتَّقَيْنْتَ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقَلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ [الأحزاب: 32] و﴿رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ﴾ [محمد: 20] و﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْعَانَهُمْ﴾ [محمد: 29] و﴿لِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا﴾ [المدثر: 31] و﴿أَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ [التوبة: 125].

8. القلوب المطبوعة:

وردت هذه الصفة مسندة إلى القلب في حال امتلاء قلوبهم بالكفر والنفاق. ذكرها ابن منظور بقوله: ((الطبع والطبيعة الخليفة والسجية التي جبل عليها الإنسان والطبع ابتداء صنعه الشيء: تلطيخه بالأدناس وأصله الطبع الصداً يكثر على (السيف)) (ابن منظور، 1999م، 232/8؛ الرازي، 1979م، 343/3؛ الزبيدي، 1965م، 5415/1). فقد وردت صفة القلوب المطبوعة في تسع آيات منها قوله تعالى: ﴿وَطَبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [التوبة: 87]. فقد أوضح الطوسي فيه قولين: أحدهما: أنه تعالى يجعل نكتة سوداء في قلب المنافق والكافر لتكون علامة للملائكة يعرفون بها أنه لا يصلح أبداً، والقول الآخر: أن يكون المراد بذلك الدم لها بأنها كالمطبوع عليها فلا يدخلها صبر ولا ينتفي عنها شر (الطوسي، 1957م، 269/5). وصرح ابن عاشور إنه طبع غير الطبع الذي جبلوا عليه بل هو طبع على طبع أنشأه الله في قلوبهم لغضبه عليهم فحرمهم النجاة من الطبع الأصلي وزادهم عماية (ابن عاشور، ١٩٨٤م، 229/11). وذهب الرازي أن المراد بالختم الإماتة أي يميت قلوبكم (محمد الرازي، ١٩٨١م، 290/6).

نجد أن الطبع جاء بصيغة فعلية دالة على تجذر هذه الصفة في قلوبهم ونفوسهم بما يلائم المعنى اللغوي ولاصطلاحي للكلمة.

وقد وردت في آيات أخرى فيها قوله تعالى: ﴿رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبِعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ [التوبة: 93] وقوله تعالى: ﴿وَنَطَبَعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ [الأعراف: 100]، ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ﴾ [الأعراف: 101]، وقوله: ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: 59]، وقوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ [محمد: 16]، وقوله: ﴿فَطَبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [المنافقون: 3]، وقوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ﴾ [النحل: 108].

9. القلوب المكنونة:

يذهب الخليل إلى أن الأصل فيها (الكِنُّ، أي كل شيء وقى شيئاً فهو كِنُّه وكنانه، كَنَّنَهُ أَكْنَهُ: جعلته، كنى واستكن الرجل) (الفراهيدي، 2003م، 281/5). ومثله لدى الزبيدي (بمعنى أغطية وكن أمره عنه أخفاه واكننتم في أنفسكم أي أخفيتم) (الزبيدي، 1965م، 54108/1. ابن منظور، 1999م، 360/13). وصف القرآن الكريم القلوب بكونها مكنونة في أربع آيات منها قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾ [الإسراء: 46]. ذكر الماوردي أن الله صرفهم عن سماع النبي (ص) بإلقاء النوم عليهم بأن جعل على قلوبهم أكنة أن يفقهوه (الماوردي، د.ت، 401/1). ويذهب الطوسي إلى أن الله حكم عليهم بهذه المنزلة ذمماً لهم على الامتناع من تفهم الحق والاستماع إليه، لتأمل معانيه، مع الإعراض عنه عداوة له ونفوراً منه (الطبرسي، 2006م، 101/4).

أما ابن عجيبة فيرى أنها أغطية تكنها، وتحول بينها وبين إدراك الحق وقبوله (أبو العباس، د.ت، 3/338). ويوضح الشيرازي بأن عقولهم وأفكارهم منغمسة في التعصب الجاهلي الأعمى، وفي المصالح المادية والأهواء، بحيث أصبحت وكأنها واقعة تحت ستار (الشيرازي، 1421هـ، 4/244؛ محمد الرازي، 1981م، 10/66). نستخلص من ذلك بأن الله منع جماعة منهم عن الإيمان وعن سماع القرآن بأن جعل بينه وبينهم حجاباً أو مرضاً شاعلاً لهم أو جعل في قلوبهم ما يشغلهم عن فهم القرآن من غشاوة أو غطاء أو غيرها، بسبب الكفر الذي تمكن من قلوبهم. وقد وردت هذه الصفة في آيات أخرى وهي قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ [الأنعام: 25]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾ [الكهف: 57] ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرًا﴾ [فصلت: 5].

ونجد في التعبير القرآني (على قلوبهم) أي أن الغطاء والستر موضوع على القلب حقيقة وتارة يكون اللفظ (في اكنة) أي أنهم أدخلوا قلوبهم في داخل الغطاء وهو من ملائمة اللفظ القرآني للمعنى أي أن قلوبهم مغطاة بشكل كامل.

الخاتمة:

وبعد أن شارف البحث على النهاية، يمكن إيجاز أهم نتائجه بما يأتي:

1. للقلب في القرآن معانٍ متعددة في سياق التعبير القرآني هي:
 - أ. بمعنى العقل والإدراك كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾.
 - ب. بمعنى الروح والنفس، كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ زَاغَتْ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ﴾.
 - ج. يرد بمعنى مركز العواطف كقوله تعالى: ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾.
 2. يتضح أن القلب هو مقر الفقه والعقل وبالتالي هو مقر الإيمان والاستيقان والكفر والإنكار والتكبر كقوله تعالى: ﴿فَتَكُونُ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾.
 3. من الواضح أن القلب هو المتحكم بعواطف الإنسان وميوله كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا﴾، وقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾، و﴿قَوْلٍ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ﴾.
 4. إن هذه الصفات مكتسبة وما هي إلا نتيجة لتصرفات الإنسان وأفعاله.
 5. يرى البحث أن للقلب أهمية في تكوين الهوية الروحية والاخلاقية للإنسان وفق الرؤية القرآنية.
 6. إتضح في البحث الكثير من التداخل اللغوي بين الألفاظ من خلال الدلالة نحو: الجزع والخوف، والختم والطبع والأكنة فهي تبدو لوهلة الأولى بنفس المعنى إلا أن الاختلاف في دلالة اللفظ. والغلاظ والغياظ والقسوة وكلها الفاظ تدل على القسوة والشدّة والصلابة إلا أن الدلالة تختلف حسب السياق القرآني، فالغلظة خشونة وقسوة سلوكية، والغياظ هو غضب مع إرادة الانتقام، والقسوة هي صلابة وقسوة وغلظ في القلب.
 7. أوضح البحث ورود الصفة السيئة للقلب أحد وعشرون مرة وهذا له دلالة التأكيد على النهي عن حمل الصفات السيئة بل واجتنابها.
 8. قد يكتفي الله بالنهي عن الصفة بأية واحدة ولفظ واحد قطعي الدلالة، وتارة تتعدد الآيات وتتغير الألفاظ وتتبدل للنهي عن هذه الصفة بحسب المواقف والأحداث.
 9. إن عمى القلب أخطر من عمى البصر لأن تداعياته تقع على الإدراك والوعي الديني. كما أن القسوة القلبية هي لأخطر على الأفعال وعلى الاخلال من خلال التحكم بعلاقة الشخص مع الخالق والبشر.
 10. لم يفرد المفسرون لصفات القلب السيء في القرآن بحثاً خاصاً على حد علمي.
 11. أوضح البحث أن كل ذنب يصدر من الإنسان فهو ناتج عن مرضه القلبي ويجب على كل مسلم مؤمن أن يسعى في علاج مرض قلبه وأن يهتم بسلامة قلبه أكثر مما يهتم بسلامة بدنه.
 12. يهدف البحث إلى التخلص من الصفات السيئة بوصفها ليست مولودة معه بل هي تنمو بمرور الزمن، وعن طريق انسياق الإنسان لما يلائم من ملذات وشهوات والأنس بها، حتى تصبح سجية راسخة في القلب حتى يصبح اقتلاعها من القلب صعباً وشاقاً يحتاج الى تقوية حب الله والإيمان بالأخرة.
 13. عندما يبئس الإنسان بوحدة من أمراض القلب فإنه يعيش في هذه الدنيا الألم والضيق فقد أضاف إلى حياته ابتلاءات في الدنيا والأخرة.
- وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين.

المصادر

- ابراهيم مصطفى ، احمد الزيات، (د.ت)، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، ، دار الدعوة.
- أحمد بن عجيبة ، أبو العباس ، (د.ت) ، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، ، بيروت - لبنان، ط1.
- احمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي ابو الحسن (ت395هـ)، (1399 هـ - 1979م)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر،.
- الألوسي ، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود ، (١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م) ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، علق عليها: محمد احمد الأحمد ، دار احياء التراث العربي ، بيروت لبنان ط١ .
- بديع الزمان سعيد النورسي، (2002م) ، اشارات الاعجاز في مظان الايجاز، تحقيق: احسان الصالحي، العراق، ط3.
- البغوي ، الحسين أبو مسعود ، (١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢م) ، معالم التنزيل المعروف بتفسير البغوي، دار ابن حزم بيروت - لبنان، ط٣.
- ابو جعفر النحاس احمد بن محمد (338هـ)، (1409هـ)، معاني القرآن، تحقيق: محمد علي الصابوني، جامعة ام القرى، مكة، ط1.
- ابو جعفر محمد بن الحسن الطوسي ، (1957م)، التبيان في تفسير القرآن، ، دار احياء التراث العربي، بيروت، لبنان ، المطبعة العلمية. ابو
- الجوهري ، ، إسماعيل بن حماد ، (1429 هـ - 2008م) ، الصحاح في اللغة اعتنى به: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت - لبنان، ط1.
- ابو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي (ت104هـ)، (1410 هـ - 1989م) ، تفسير مجاهد، تحقيق: د. محمد عبد السلام ابو النيل، دار الفكر الاسلامي الحديث، مصر، ط1.
- ابو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي الشهير بالماوردي (ت450هـ)، (د.ت)، النكت والعيون، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت.
- الحكيم الترمذي ، الحافظ أبو عبدالله محمد بن علي ، (1924م) ، بيان الفرق بين الصدر والقلب والفؤاد واللب، تح: د. أحمد عبد الرحيم السابع، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط1.
- ابن حيان الاندلسي ، ، محمد بن يوسف ، (١٤٣ هـ - ٩٩٣م) ، تفسير البحر المحيط ، تح: عادل احمد عبد الموجود ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ط١.
- الرازي ، ، زين الدين محمد أبي بكر بن القادر ، (1407 هـ - 1987م) ، مختار الصحاح ، تح: حمزة فتح الله، دار البصائر ، بيروت - لبنان، د.ط.
- الرازي ، أحمد بن علي أبو بكر الجصاص الحنفي (ت370هـ)، (١٤٠٥ هـ) أحكام القرآن، ، المحقق: محمد صادق الفمحاوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- الراغب الأصفهاني ، (١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م) ، مفردات الفاظ القرآن، ، تح: صفوان عدنان، دار القلم، دمشق - بيروت، ط١ .
- زكريا بن محمد بن احمد بن زكريا الانصاري (ت926هـ)، (1403 هـ - 1983م)، فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن، تحقيق: محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم، بيروت، لبنان، ط1.
- الزمخشري ، ، أبو القاسم جارالله محمود بن محمد ، (1427 هـ - 2006م) ، الكشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل ، صححه: محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط1.
- الطباطبائي ، محمد حسين ، (د.ت) ، الميزان في تفسير القرآن، إحياء الكتب الإسلامية، ايران، د.ط.
- الطبرسي ، أبو علي الفضل بن الحسن ، (1427 هـ - 2006م) ، مجمع البيان في تفسير القرآن، دار المرتضى، بيروت - لبنان، ط1.
- ابن عاشور ، محمد الطاهر ، (١٩٨٤م) ، تفسير التحرير والتنوير ، ، الدار التونسية للنشر، تونس ، ط٣.
- عائشة محمد علي عبد الرحمن المعروفة ببنت الشاطي (ت4119هـ)، (د.ت)، التفسير البياني للقرآن الكريم، دار المعارف، القاهرة، ط7.
- عبد الباقي ، محمد فؤاد ، (١٣٨٤ هـ) ، المعجم المفهرس، دار ذوي القرى، العراق، النجف الاشرف، ط٣.
- عبد الملك بن محمد بن اسماعيل ابو منصور الثعالبي (ت429هـ) ، 1418 هـ - 1997م، فقه اللغة وسر العربية، تحقيق : عبد الرزاق المهدي ، احياء التراث العربي، ط1.
- العمادي الحنفي، قاضي القضاة أبو السعود بن محمد ، (د.ت) ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، ، تح: د. عبد القادر أحمد عطا، مكتبة السعادة - مصر، د.ط.
- العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تح: د. عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط1، 1424 هـ - 2003م.

- فارس بن زكريا ، أبو الحسن احمد ، (د.ت) ، مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر، د.ط.
- الفيض الكاشاني، (د.ت) ، تفسير الصافي ، صححه الشيخ حسين الاعلمي، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، د.ط.
- ابو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الاصفهاني (ت502هـ) ، ، (1424هـ - 2003م)، تفسير الراغب الاصفهاني، تحقيق: د. محمد عبد العزيز بسيوني، كلية الاداب، جامعة طنطا، ط1. ابو
- محمد الرازي ، فخر ابن العلامة ضياء الدين المشتهر بخطيب الري ،(1401هـ - 1981م)، مفاتيح الغيب الشهير (تفسير الرازي) ، دار الفكر للطباعة والنشر، ط1.
- محمد بن احمد بن يوسف ابو عبدالله البلخي الخوارزمي (ت387هـ)، (د.ت)، مفاتيح العلوم، تحقيق: ابراهيم اليباري، دار الكتاب العربي، ط2.
- محمد بن عبد الواحد بن ابي هاشم ، ابو عمر الزاهد المطرز البوردي المعروف بغلام ثعلب (ت345هـ) ، (1423هـ - 2002م)، الصراط في تفسير غريب القرآن، ، تحقيق: محمد بن يعقوب، مكتبة العلوم والحكم، السعودية ، ط1.
- محمد بن عبد الواحد بن ابي هاشم، ابو عمر الزاهد المطرز البوردي ، (1423هـ - 2002م)، ياقوتة الصراط في تفسير غريب القرآن ، تحقيق: محمد يعقوب التركستاني، مكتبة العلوم والحكم، السعودية، ط1.
- محمد بن عزيز السجستاني ابو بكر العزيري (330هـ)، (1416هـ - 1995م)، غريب القرآن للسجستاني، تحقيق: محمد اديب عبد الواحد، دار قتيبة ، سوريا ، ط1،
- محمد بن يحيى الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم القاضي ابو بكر الملاكي (ت403هـ)، (1422هـ - 2001م)، الانتصار للقران للباقلاني، تحقيق : د. محمد عصام الفقاء، دار الفتح ، عمان ، ط1،
- محمد بن يعقوب ، مجد الدين الفيروزآبادي ، (1430هـ - 2009م) ، القاموس المحيط، تح: عبد الخالق السيد عبد الخالق، مكتبة الإيمان، المنصورة، ط1.
- مرتضى الحسيني الزبيدي ، السيد محمد ، 1385هـ - 965 م ، تاج العروس في جواهر القاموس، تح: عبد الستار احمد فراج ، مطبعة حكومة الكويت، الكويت.
- العلامة المصطفوي ، حسن ، (1425هـ) ، التحقيق في كلمات القرآن، المحقق المفسر ، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
- مكارم الشيرازي ، آية الله العظمى ناصر ، (1421هـ) ، الأمتل في تفسير كتاب الله المنزل ، مطبعة أمير المؤمنين - قم، ط1.
- ابن منظور ، جمال الدين بن مكرم الإفريقي ، (1419هـ - 1999م) ، لسان العرب ، صححه: أمين محمد عبد، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ط3.
- ناصر الدين أبو الخير ، عبدالله بن عمر بن محمد الشيرازي الشافعي البيضاوي ، (د.ت) ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوي ، تقديم: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ط1.
- النيسابوري ، نظام الدين القمي ، (د.ت) ، تفسير النيسابوري، دار الفكر القاهرة.
- ابو هلال العسكري المعتزلي، ابو هلال الحسن بن عبدالله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهراة العسكري الوجوه والنظائر ، (1428هـ - 2007م) ، تحقيق: محمد عثمان ، مكتبة الثقافة الدينية ، ط1، القاهرة.